

خصائص الخطاب العربي المُضلل للرأي العام: التطرف والأخبار الزائفة نموذجان

د. سامي عبدالله حُمَدي

جامعة جازان، المملكة العربية السعودية

الملخص: تتناول ورقة العمل هذه خصائص خطاب التطرف والأخبار الزائفة كنماذج للخطاب العربي المضلل. وبتحليل الشواهد والأمثلة على شبكات التواصل الاجتماعي، يمكن التوصل لبعض الخصائص العامة ومن أبرزها القطبية الأيدلوجية والمغالطة وإثارة العاطفة والتحريف. وترتبط هذه الخصائص بأساليب خطابية متعددة كاستخدام ضمير المتكلم للجمع والمقارنة اللامنتطقية وتحريف ترجمة الأخبار العالمية. ويضلل الهدف العام للخطاب المضلل هو الاستقطاب الأيدلوجي.

مقدمة

في ظل تزايد اهتمام المجتمعات العربية، ولا سيما الشباب العربي بشبكات التواصل الاجتماعي، تزداد الأخطار للتعرض لمحتوى مُضلل للتأثير في الرأي العام تجاه قضايا مُعينة. وتُعد ظاهرتا التطرف والأخبار الزائفة من الظواهر التي تُستغل كبيئة خُصبة لنشر الخطاب المُضلل لخدمة أهداف فئوية من قِبل أفراد أو جماعات أو منظمات بعضها يتستر تحت أسماء ومعارف وهمية أو غير دقيقة على شبكات التواصل الاجتماعي. ولقد أضحت ظاهرة التطرف أحد التحديات الكبيرة التي تواجه المجتمعات المدنية الحديثة وتهدد استقرارها. ولعل إحدى إشكاليات ظاهرة التطرف تكمن في تعريف وتوصيف مفهوم التطرف، إضافة لتعدد أصنافه وتقاطعها مع مجالات علمية مختلفة. وينعكس هذا التداخل المعقد على قدرة الأفراد على استيعاب الأحداث المرتبطة بالتطرف، حيث يتم استغلال غموض مفهوم التطرف لتضليل الرأي العام. ومن صور الخطاب المُضلل المؤيد للتطرف كتابة تعليقات وأراء تُسوِّغ أحداث أو مواقف أو سلوكيات متطرفة. وبالنسبة إلى الأخبار الزائفة، فقد سهلت التقنية الحديثة ووسائل التواصل الاجتماعي كتابة ونشر الأخبار والمعلومات لغير المختصين حتى أصبح التمييز بين الأخبار الحقيقية والزائفة تحدياً في بعض الحالات. ومن أمثلة ذلك تحريف بعض الأخبار أو المعلومات ونشرها بمحتوى ينافي الحقيقة. ولعل في تعبير منظمة الأمم المتحدة عن قلقها من انتشار المعلومات المُضللة ومناداتها لمكافحة استشعارها منها لأخطار هذه الظاهرة. وإدراكاً لتأثير الخطاب المُضلل بصوره المتعددة في الرأي العام، ولا سيما فئة الشباب العربي، تسعى هذه الورقة لتسليط الضوء على الخطاب العربي المُضلل على وسائل التواصل الاجتماعي مستشهدة بقضيي التطرف والأخبار الزائفة كنماذج.

الخطاب المضلل وإشكالية التعريف

يتقاطع مفهوم الخطاب المضلل مع مجالات مختلفة كعلوم الاتصال والإعلام السياسي وعلم النفس واللغويات وتحليل الخطاب النقدي، ويتم تعريفه وتناوله عادة من منظور كل مجال على حدة (للمزيد طالع Maillat & Oswald, 2009). وخروجاً من إشكالية تعدد التعاريف لظاهرة الخطاب المضلل والتي لا يسع المجال لتناولها بشكل موسع هنا، ننظر هذه الورقة لقضيي التطرف والأخبار الزائفة كنماذج أو صور من صور الخطاب المضلل. وفيما يتعلق بالتطرف، فالدراسات السابقة لا تقدم تعريفاً واضحاً لمفهوم التطرف. وكذلك الحال في المعاجم العربية القديمة والمعاصرة والتي إما أنها لم تتطرق لمفهوم التطرف أو أنها تتناوله بشكل عام. وقد اجتهد بعض الباحثين في تعريف التطرف كالمبارك (2006) وبيوي (1999) وشحاتة والنجار (2003). وتكاد تتفق تلك المحاولات على أن التطرف هو تجاوز حد الاعتدال.

وتنسحب إشكالية التعريف على صور وأشكال الخطاب المضلل كالأخبار الزائفة. فالبرغم من عدم حداثة هذه الظاهرة، إلا أنه لا يوجد تعريف واضح لمفهوم الأخبار الزائفة نظراً لعوامل متعددة منها صعوبة توصيف أنواع الأخبار الزائفة وتداخلها. ولكن تتم دراستها غالباً في إطار المعلومات المغلوطة (Misinformation). وذهب بعض الباحثين (Wardle, 2017) لتوصيف الأخبار الزائفة من حيث القصد أو النية (تعتمد نشر المعلومة مع العلم بعدم صحتها) من وراء نشرها وتبادلها. وقد حاول تاندوك وآخرون (Tandoc et al., 2018) دراسة أنواع الأخبار الزائفة المشار إليها في الدراسات الأكاديمية وخرج بتصنيف مكون من 6 عناصر يضم السخرية، المحاكاة الساخرة، الفبركة، التضليل، الدعاية، والإعلان. ويكتفي لازر وفريقه (Lazer et al., 2018) بوضع الأخبار الزائفة في منزلة وسط بين المعلومات المغلوطة ووسائل الإعلام التقليدية.

أهداف البحث

١. توصيف أبرز خصائص وأساليب الخطاب العربي المُضلل

٢. تحديد أهم دوافع وأغراض الخطاب المُضلل

3- تقديم بعض الحلول الفعالة لمواجهة الخطاب المُضلل

منهج البحث

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، وتستخدم إطار نظري تحليلي (الإطار الاجتماعي الإدراكي) لفان دايك (2014; 2015; 2016; van Dijk) لدراسة وتحليل الخطاب النقدي. يُعنى الإطار الاجتماعي الإدراكي بمضامين القضايا الاجتماعية السياسية في سياقها الخطابي. إن المنهج الاجتماعي الإدراكي هو تثليث (للخطاب - الإدراك - المجتمع) حيث يمكن للخطاب والتركيبة الاجتماعية أن تؤثر على بعضها البعض من خلال واجهة إدراكية. يتم تمثيل الواجهة الإدراكية بنماذج عقلية: قوالب ذاتية للتجارب الشخصية التي قد تتداخل مع المعرفة والمواقف والأيديولوجيات المشتركة اجتماعيًا والتي تميز مجموعة أو منظمة. ويساعد هذا الإطار في الكشف عن الخصائص والأساليب الخطابية التي تشير إلى مواقف مجتمع الدراسة، إضافة إلى الحجج والشواهد التي يسوقها الأفراد لتبرير مواقفهم وأرائهم.

جمع البيانات

سيتم استخدام بيانات نصية مختارة من دراسات سابقة (Hamdi, 2022; 2024) ومن موقع هيئة مكافحة الإشاعات في صورة تعليقات، ردود، تغريدات، منشورات على منصات التواصل الاجتماعي كشواهد تعبر عن تفاعل طبيعي لمجتمع الدراسة مع قضايا التطرف والأخبار الزائفة. هذا التفاعل الطبيعي مع الأحداث يدفع الأفراد للتعبير عن آرائهم ومواقفهم، والمتوقع أن تحتوي تلك البيانات النصية على دلالات ومعان تكشف بعض الميول والتوجهات الفكرية المشتركة لمجتمع الدراسة.

تحليل البيانات

الخطاب المضلل والتطرف

من أهم خصائص خطاب التطرف المضلل *القطبية/الأيدولوجية* والتي يعبر من خلالها المتحدث أو الكاتب عن رأي أو وجهة نظر أو تعليق ويظهر من خلاله تعاطفا أو انتماء عقديا لجماعة ما ضد جماعة أخرى ويستخدم أساليب كالحجج المضادة الرافضة وضمير المتكلم للجمع (نحن) في مقابل (أنتم) كما هو موضح في المثال رقم 1-3 في الجدول رقم (1) أدناه. كذلك يتم استخدام الاستفهام المجازي أو البلاغي لاستنكار بعض السلوكيات والتصرفات وجذب انتباه القارئ لما يُظن أنه مخالف للأعراف والقيم. ويحتوي الجدول رقم (1) على مزيدا من الخصائص والشواهد عليها.

جدول 1: خصائص خطاب التطرف

الخصائص	الاستراتيجية/ الأسلوب	أمثلة واقعية
القطبية الأيدولوجية	- الحجج المضادة الرافضة - ضمير المتكلم (نحن) ويقابله (أنتم)	1. "يخشون من (توحش) و (تطرف) النسوية، ولا يفكرون لمرة واحدة ما سبب هذه الشدة بالطرح لكل فعل رد فعل موازي له في المقدار، هذا التباعد بين المجتمع والنسويات ماهو الا رد فعل على تاريخ طويل من الإضطهاد ان كنت من ضمن الذين اضطهدوا نساءهم فيجب ان تخشى، و ان كنت سليم فأنت لست مستهدف" 2. "اصبحت النصيحة تطرف لا حول ولا قوة الا بالله حقاً نحن الان في زمن الروببضه" 3. " أنتم يساريون متطرفون ما لوجودكم فائدة"
الادعاء بمخالفة الأعراف والقيم	الاستفهام المجازي	4. " هل تحت دعوى محاربة الغلو و التطرف يفسح المجال على مصراعية للمشركين من المتصوفة عباد القبور و من المنحليين و المنحلات..." 5. " هل تحريم الاختلاط #تطرف؟" 6. "ينتقل الناس من التطرف في التشدد إلى التطرف في الإنحلال، كيف نعود إلى الوسطية؟!"
المغالطة	- المقارنة اللامنطقية - المبالغة والتهويل	7. "واقصاء المناهج الدينية او التعديل والتحريف فيها "تطرف" مثله مثل تطرف الارهابي ولا فرق وكلهم يشوهون الدين ويعطون صورة غير صحيحة عنه" 8. "ما الومهم. الاسلام الحالي مليان تطرف وقلة احترام واستهزاء بالاديان الاخ..."
		9. صحيح ..ولذلك يجب ان نتسامح مع الاخوان المسلمين

تسامح مع السرورين تتسامح مع الجهاديين <u>بدل التطرف والتعصب ضدهم</u> وضد افكارهم وسجنهم وقتلهم .. وللعلم (الغربيتون) على وصفك لم يُجرموا نشاطهم وتركوهم يعبرون عن افكارهم .. 10. "يجب تطهير واجتثاث <u>كل</u> من ينتمي للفكر الوهابي المتطرف" 11. "المتطرفون للوطن لا يختلفون عن المتطرفين للدين هؤلاء يَحَوِّنون المعارض وأولئك يُكْفِرُونَ المفكر، يحدث هذا عندما يتحول الوطن والدين إلى ملكية خاصة يعتقد المتعصبون لها أنهم وحدهم الأجدر بحمايتها وهكذا تنكسر بيضة الوطن والدين بدل أن تفقس على يد <u>المعارض والمفكر</u>"	- الدعوة إلى العقلانية - التعميم - التخصيص	الادعاء بحماية المصالح
---	---	-------------------------------

الخطاب المضلل والأخبار الزائفة

يتسم خطاب التضليل العربي من خلال الأخبار الزائفة بالتركيز على ما يُثار من قضايا متنوعة محلية وعالمية على شبكات التواصل الاجتماعي. ومن أبرز الملاحظات الشكلية عليه ركافة أسلوب الكتابة والأخطاء الإملائية وخط الفصحى بالعامية واستخدام الوسائط الرقمية (صور، رموز، شعارات... إلخ). أما المضمون فيتصف بإثارة العاطفة والغربة والتحريف. ويوضح الجدول رقم (2) أدناه أبرز الخصائص واستراتيجياتها الخطابية إضافة إلى الأمثلة.

جدول 2: خصائص خطاب الأخبار الزائفة

الخصائص	الاستراتيجية/ الأسلوب	أمثلة واقعية
إثارة العاطفة	الوعظ والتنبيه والتحذير	12. خطيب الحرم المكي الشيخ ياسر الدوسري: "يبدو أن الأرض تنهياً لأمر عظيم لا يعلمه إلا الله استعدوا للقاء الله تعالى" 13. تحذير من مستشفى الملك خالد التخصصي للعيون: أكد الأطباء أن تصفح الهاتف المحمول ليلاً، ولمدة 30 دقيقة يومياً قبل الخلود إلى النوم، وفي غرفة مظلمة يؤدي ذلك إلى ظهور بقع حمراء تغطي كامل العين، وتبين من الفحوصات أنه نوع نادر من السرطان، يسمى (سرطان العين) وأن علاج هذا المرض مازال أمراً معقداً لعدم القدرة على استبدال الشبكية التالفة بأخرى سليمة"
الغربة	تصريح أو إعلان أو اقتباس	14. "السعودية تعلن عن خطأها في رؤية الهلال... فقد رأت زحل وبموجبه أعلنوا يوم الثلاثاء أول أيام عيد الفطر المبارك... والان تعلن دفع مليار وست مائة مليون كفارة للشعب السعودي" 15. "دولة الإمارات تفكر في توظيف رجل آلي كخطيب "جمعة"، يتم شحنه بالخطبه المطلوبة ليلقيها على الناس"
التحريف	تحريف ترجمة الأخبار العالمية	16. الخبر الأصلي: American Jewish millionaire Lazer scheiner and his friends throwing a Hanukkah party in Bahrain with the local Arabs isn't it amazing الترجمة العربية المُحرّفة: احتفال بمناسبة تأسيس جمعيه الصداقه السعوديه الإسرائيلييه بالرياض...حسبي الله ونعم الوكيل الترجمة الصحيحة: المليونير اليهودي الأمريكي لازر شينر وأصدقاؤه يقيمون حفل حانوكا في البحرين مع العرب المحليين، أليس هذا رائعاً 17. الخبر الأصلي: Get together with your family/friends, and watch all of our testimonials from the Open Mosque Day Event!

الترجمة العربية المُحرّفة: "سبحانك يا رب في ظاهره هي الاول من نوعها مئات الامريكان يغادرون منازلهم ويمكثون في مسجد الهدى في أحد الولايات مطالبين بالتعرف على مبادئ الاسلام"		
الترجمة الصحيحة: "اجتمع مع عائلتك/أصدقائك، وشاهد جميع شهادتنا من حدث يوم المسجد المفتوح!"		

المناقشة

غالباً ما تنشط بعض الجماعات والأفراد على شبكات التواصل الاجتماعي في القضايا التي تثير الرأي العام. وعندما يتعلق الأمر بالأحداث والمواضيع التي ترتبط بالتطرف، تزداد حدة النشاط والتفاعل ومن ذلك كتابة المنشورات والتعليقات والرد عليها وإعادة نشر بعض المنشورات لمستخدمين آخرين أو عمل إعجاب لها. ونظراً لصعوبة توصيف أحداث التطرف لغير المختصين، فضلاً عن الحكم بأنها ذات دوافع متطرفة، يتم استغلال هذا الوضع للسبق في نشر آراء تدعو لتأييد أو معارضة بعض القضايا أو الأحداث التي تطرأ وتتعلق بالتطرف. وغالباً ما تتعارض تلك الآراء المضللة مع مواقف الأجهزة والسلطات الحكومية التي لديها الأدوات التي تمكنها من الحصول على معلومات وتفاصيل ذات مصداقية عالية عن قضايا الرأي العام. وتؤدي المسارعة في التعبير عن تأييد أو معارضة حدث أو قضية ترتبط بالتطرف إلى التشويش على آراء رواد شبكات التواصل الاجتماعي قبل صدور التقارير الرسمية من السلطات الحكومية. ومن الأمثلة المتكررة لهذا السلوك حوادث الطعن أو الدهس التي يقوم بها أفراد مسلمون بدوافع متطرفة دينياً ضد غير المسلمين في أوروبا والتي تشهد تفاعلاً كبيراً على شبكات التواصل الاجتماعي في العالم العربي وتنقسم حولها الآراء بين تأييد ورفض. وبالرغم من وجود بعض الأفراد الذين يعبرون عن آرائهم الشخصية المؤيدة لقضايا التطرف ولا ينتمون تنظيمياً أو فكرياً للجماعات المتطرفة، إلا أن تلك الآراء قد تساهم في تضليل رواد شبكات التواصل الاجتماعي سواء كانت بقصد أو بدون قصد.

وعلى الجانب الآخر، فإن اندفاع الكثير من رواد شبكات التواصل الاجتماعي للاطلاع على مستجدات الأحداث المحلية والعالمية قد توقعهم في مشكلات ومنها التعرض لمحتوى مضلل كالمعلومات المغلوطة والأخبار الزائفة. ومن مخاطر ذلك التعرض التعلّم أو اكتساب معارف من مصادر ليست ذات مصداقية أو أنها ذات جودة منخفضة. وقد يقود المحتوى المضلل الأفراد لاتخاذ قرارات خاطئة أو تعلم سلوكيات مؤذية أو تكوين انطباعات وتصورات سلبية عن بعض الأمور.

وتتعدد دوافع الخطاب المضلل ما بين الكراهية والمقاومة وكذلك المكاسب المادية والمعنوية. ويظل الهدف العام والأهم من التضليل سواء عن طريق خطاب التطرف أو الأخبار الزائفة هو الاستقطاب الأيدلوجي لمزيد من الأفراد وخاصة الشباب وغرضه توسيع القاعدة الشعبية المؤيدة للتأثير في أرائها تمهيداً للسيطرة على توجهاتها الفكرية. ويعني ذلك من منظور الإطار الاجتماعي الإدراكي تعميق الإنقسام الأيدلوجي بين المجتمعات والذي يؤدي إلى خطاب منقسم عقدياً أو أيدلوجياً تُسوق من خلاله الجماعات لعقيدتها وتوجهاتها وتهاجم وتقلل من شأن التوجهات المناهضة لها. ويستند الخطاب الأيدلوجي لجماعة معينة على قوالب ذهنية جاهزة يتم من خلالها تفسير وربط الأحداث والقضايا بطريقة تخدم توجهات الجماعات ومصالحها. هذه النماذج من نوعين: نماذج مرتبطة بالأحداث والتي تحدد ماهية الخطاب ونماذج السياق التي تحدد الموقف التواصلي بما في ذلك الوقت والمكان والجمهور. فعلى سبيل المثال، يربط البعض حالة الفشل في إقامة الدولة الفلسطينية بعدم تمكين الجماعات الإسلامية من الحكم في العالم العربي. إن استخدام القوالب الذهنية الجاهزة يوفر مساحة واسعة تسمح بإعادة تناول الأحداث والقضايا المستجدة وتفسيرها والرد عليها بحجج متشابهة إن لم تكن هي ذاتها دون تقييم أو فحص.

إن الانتشار المتزايد للخطاب المضلل على شبكات التواصل الاجتماعي باختلاف القضايا التي يتسلل من خلالها لعقول الشباب العربي، يتطلب مواجهة سريعة وفاعلة. ومع إدراكنا أن مواجهة الخطاب المضلل تتطلب جهوداً كبيرة من مؤسسات المجتمع والأجهزة الحكومية وكذلك أفراد المجتمع، إلا أننا نرى أن وجود خطاب مضاد يتميز بالاعتزان في طرحه ومضمونه والتجاوب السريع مع الأحداث والقضايا المستجدة والحضور الواسع على شبكات التواصل الاجتماعي مهم لمواجهة من هذا النوع. ويجدر الإشارة هنا بجهود هيئة مكافحة الإشاعات في المملكة العربية السعودية والتي تتصدى للمحتوى العربي المضلل الذي يتم تداوله على شبكات التواصل الاجتماعي بوسائطه المختلفة وذلك بالبحث والتحقيق من مصداقيته وتفنيدها. أضف إلى ذلك أنه يجب تمكين الشباب العربي والأفراد باختلاف توجهاتهم وأعمارهم من مهارات المعرفة المعلوماتية. إن أحد أهم عناصر تأثير الخطاب المضلل في عقلية الشباب العربي يكمن في افتقار الكثير منهم لمهارات المعرفة المعلوماتية مما يجعلهم عرضة لتقبل ما ينشر دون فحص. تلك المهارات التي تزودهم بأساسيات تقييم

وفحص المحتوى المنشور بعين ناقدة للخروج بتصوّر أولي يساعد في الحكم على توجهه وأهداف ذلك المنشور أو الخبر أو المعلومة قبل استيعابها أو مشاركتها.

الخاتمة والتوصيات

تناولت هذا الورقة أبرز خصائص الخطاب العربي المضلل وأساليبه الخطابية على شبكات التواصل الاجتماعي مستشهدة بقضيبي التطرف والأخبار الزائفة كنماذج. وتشدّد على أن الهدف العام للخطاب المضلل هو اختراق الشباب العربي سعيًا للتأثير في الرأي العام وفق توجهات تخدم أيديولوجيات معينة. وترى الدراسة أن مواجهة تزايد انتشار الخطاب العربي المضلل بصوره المتعددة تتطلب تحليل مضامينه على نحو معمق للتعرف على خصائصه وأساليبه الخطابية كخطوة أولى لمكافحة خطاب مضاد متزن يكشف المزاعم والشبهات ويفندها. ويوصي الباحث بالاستثمار في تمكين الشباب العربي من مهارات المعرفة المعلوماتية ضروري لمواجهة وتحجيم الخطاب المضلل.

المراجع العربية

- المبارك، راشد (2006م). *التطرف... خنزير عالمي*. ط1، دمشق: دار القلم.
- بيومي، محمد أحمد (1999م). *ظاهرة التطرف: الأسباب والعلاج*. دار المعرفة الجامعية.
- شحاتة، حسن، والنجار، زينب (2003م). *معجم المصطلحات التربوية والنفسية*. ط1، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية.

المراجع الأجنبية

- Hamdi, S. (2022). Mining Ideological Discourse on Twitter: The Case of Extremism in Arabic. *Discourse and Communication*, 16(1) 76–92. <https://doi.org/10.1177/17504813211043706>
- Hamdi, S. A. (2024). Mining misinformation discourse on social media within the 'ideological square'. *Discourse & Society*, 35(3), 329-344. <https://doi.org/10.1177/09579265231211490>
- Lazer DM, Baum MA, Benkler Y, et al. (2018) The science of fake news. *Science* 359(6380): 1094–1096.
- Maillat, D., & Oswald, S. (2009). Defining manipulative discourse: The pragmatics of cognitive illusions. *International Review of Pragmatics*, 1(2), 348-370.
- Tandoc EC, Lim ZJ and Ling R (2018) Defining “Fake News. *Digital Journalism* 6(2): 137–153.
- van Dijk TA (2014) Discourse-cognition-society: Current state and prospects of the socio-cognitive approach to discourse. In: Hart C and Cap P (eds) *Contemporary Studies in Critical Discourse Analysis*. London: Bloomsbury, pp.121–146.
- van Dijk TA (2015) Critical discourse studies: A sociocognitive approach. In: Wodak R and Meyer M (eds) *Methods of Critical Discourse Studies*, 3rd edn. London: Sage, pp.62–85.
- van Dijk TA (2016) Sociocognitive discourse studies. In: *The Routledge Handbook of Discourse Analysis*. London: Routledge, pp.26–43.
- Wardle C (2017) Fake news. It's complicated. *First Draft News*. <https://firstdraftnews.org/articles/fake-news-complicated>